



HAL
open science

: ☒

Anwar Hamrouni

► **To cite this version:**

| Anwar Hamrouni. : ☒ 2022. <hal-03849170>

HAL Id: hal-03849170

<https://hal.science/hal-03849170>

Submitted on 4 Jun 2023

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire HAL, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.

Copyright

تونس غدوة: نحبوها مدينة الذكاء المواطني

Anwar HAMROUNI, doctorant en cotutelle de thèse

Équipe de Recherches sur les Ambiances (École Nationale Supérieure d'Architecture de Tunis) / CRESSON (École Nationale Supérieure d'Architecture de Grenoble)

hamrounianwarha77@gmail.com ; 0021624805083

اليوم أكثر من أي وقت، تأكدنا إننا نحتاجو للغة جديدة باش التصميم العمراني والتخطيط المستقبلي للمدن متاعنا ما بيقاش دراسات تتخدم في مكاتب مغلقة ولأ حزمة من التقارير والدراسات المعطلة بالإجراءات الإدارية المعقدة. ممكن حاجة الحاجات اللي تخلينا نشوفو التكسير و التخريب في المنشآت العمومية، اللي مهما تكون حجم الإستثمارات فيها (مالية، بشرية أو تقنية) ما نتجشش، هو الإحساس إتو المشاريع هذي أجسام غريبة لا تمت لواقع المواطنين وإحتياجاتهم بصلة. تفررت وتصممت وتبنات ثم تفرضت على المواطنين. الفضاءات العامة، الساحات العمومية، حومنا وشوارعنا دعوة مفتوحة ودليل حيّ إتو الخيارات الإستراتيجية والمشاريع العمرانية بمختلف أحجامها وأنواعها لازم تنبع من إحتياجات المواطنين وخصائص كل موقع.

المدينة تتعاش، تتقرر وتتصور هنا، تّوا، مع المواطن وبه.

إعتبر المواطن مجرد مستهلك سلبي يساهم بدرجة كبيرة في خلق إحساس الإغتراب وعدم إنتماء حتى في الحي متاعو وبخليه يرفض وما يتقبلش. للأسف، الأمثلة برشا وللأسفة هذي مازلنا نعتمدوا في نفس الطرق والوسائل اللي خلات التعايش المشترك في فضاء عمومي اليوم أشبه بامتحان يومي صعب. مازلنا نحاولوا نفرضوا أمثلة نموذجية ونجربوا بأي طريقة إننا نعتمدوهم في الشمال كيما الجنوب، على الشريط الساحلي كيما في المناطق الداخلية على إنهم وصفة رابحة. نسينا في وسط هذا الكلّ أنو فما خصائص جغرافية، مناخية، إجتماعية وإقتصادية تخلي كل بلاصة فريدة من نوعها، غنية باختلافاتها. القوالب الجاهزة التي تُعتمد اليوم لتخطيط المدن الجديدة أو إعادة تهيئة القديم منها، قتلت روح المدن، الذاكرة الشعبية وضغقت حسن الإنتماء والهوية. الشيء اللي ضعّف بلاصة المشاعات العمرانية في حياتنا اليومية.

طريقة التخطيط العمراني الحالية سببت نفسخ لكل ما ينجم يوحد الناس ويجمعهم. مثال صغير، المدن القديمة كيما مدينة تونس كانت توّفر تجربة حسّية شاملة تمس كل الحواس؛ أصوات التجار و الحرفيين، ملمس الحجارة المستعملة في المباني القديمة والقاعة، روائح الجلد و البخور، الأشكال المعمارية المحلية، الألوان الخاصة بالمنطقة أو الجهة، نسق حياة مختلف، طرق تنقل مختلفة... في سباقنا وراء الحداثة و النجاعة التقنية، ضحينا بأشياء بسيطة في حياتنا هي المشاعات اليومية. كان من الأجدر تمييزها، تأطيرها وإدماجها في المشاريع الجديدة حتى نخليوها تتواصل ونجمّعوا حولها المواطنين كمجموعة قيم مشتركة تربطهم وتوحدهم.

الحاجات المعنوية اللي حكينا علاهم في مثال مدينة تونس بالإضافة الى كل ما هو تراث مادي من بنايات قديمة، ساحات عمومية ولات نقطة حيوية في معيشتنا اليومية، بلايص كانت شاهدة على أحداث مهمة وتاريخية كلها تكوّن المشاعات العمرانية.

كمهندس معماري، مختص في التخطيط العمراني لكن كمواطن بالأساس نلقى روعي في وسط أفكار تنادي بالمدينة الذكية كحل لتونس غدوة. حلول تقنية متقدمة وشبه خيالية، تقدم علمي يخلي أي حاجة عندها برمجية تتلّهي باها وكل شيء مبني على النجاعة، الربح والتسويق. أكيد هذي نظرة مستقبلية تخلينا نعلموا ونطمحوا لبعيد. أما شكور يضمن إتو التكنولوجيا هذي مش تكون سهلة الإستعمال، توصل للفئات الكلّ، تتقبلها الناس الكلّ وخاصة تحترم الاختلافات والخصائص الكلّ؟ إننا نحصرها فهم المدينة الذكية في الحلول التقنية والتكنولوجيا المتطورة والفعالة، تقصير وتغييب لدور أهم عنصر في المنظومة: المواطن.

في فكري ومنظوري المتواضع، لازمنا نرجعوا لأصل الأمور للأساس متاع التخطيط العمراني، اللي هو المواطن. من دون الوعي متاعو وتبنيّه للقيم التي توضع على أساسها أقوى البرمجيات مثلا فإنها تبقى مجرد أدوات. هذاك علاش الذكاء لازم يكون مواطني قبل كل شيء.

من أبسط مشروع متاع تهيئة ساحة عمومية لأكبر مشروع عمومي ممكن. لازم المواطن يكون الشريك الأول و مساهم في المشاريع هذي. مش بإبداء الرأي فقط، أما لازم ترسيخ عقلية المشاريع التشاركية من مرحلة وضع البرنامج الوظيفي؛

تتشاور الناس الكلّ و تقرّر طبيعة المشروع اللّي ناقص في الحي وبنجم يحسنلهم من حياتهم اليومية؛ إلى المساهمة في وضع التصورات العامة و الخطوط العريضة متاع المشاريع في إطار جلسات عمل تشاركي يتقابلو فيها الأطراف المعنية الكل (مهندسين،سياسيين،أعضاء المجلس البلدية،جمعيات مواطنية محلية،شباب، أطفال، نساء، أصحاب الإحتياجات الخصوصية...) و يحاولوا يقترحوا و يتصوروا مع بعضهم عبر وسائل مبسطة و مفهومة من الناس الكل. فالكل معني، بلا إقصاء. في مرحلة أخرى، يمكن تشريك المواطن في عملية إختيار الشركات لإنجاز الأشغال و مراقبة تقدّمها بطرق رقمية تضمن شفافية العملية. أكثر من هكّا، ممكن المسؤولين على المشاريع يخلبو جزء من الأشغال مفتوحة للجميع. على سبيل المثال، إنجموا ندعيو متساكني الحي باش يختاروا ألوان المشروع الجديد و يشاركوا في أشغال الدهن،ممكن حتى بلوحات متاع قرافيتي و فن حضري. ممكن زادا نشركوهم في تركيب الأثاث الحضري من مقاعد ولوحات...

التشاركية ما تقفش هنا. حتّى بعد تسلّم المشروع ينجم كلّ حيّ يحضّر وثيقة إستعمال مشترك وناس تتلهي بيه في إطار إدارة ذاتية ومستقلّة. التجارب في العالم عديدة وناجحة بدرجات متفاوتة. لكن المهم في المعمار التشاركي إتو يضمن أولًا تقبل المواطنين للمشاريع هذي خاصّة وإنها هي اللّي إختارتها وعبّرت عن الحاجة ليها. و ثانيًا،إحترام الخصائص المحلية، الإختلافات و هوية الموقع. والأهم في هذا الكلّ، نكونو نجحنا في تدعيم مشاعات عمرانية موجودة وكذلك خلق مشاعات جديدة حول المشروع. تشريك المواطن في كل المراحل من شأنها إنّها تحسّسوا إتو المشروع ملكية مشتركة تجمع الناس الكلّ وتخليه يستثمر فيه ماديا ومعنويا. تشوفوا المجموعة كصالح عام يجب دعموا والمحافظة عليه.

الذكاء المواطني ما يقتصرش فقط على المشاريع العمرانية التشاركية اللّي هي مجرد مدخل في الحقيقة.

مدينة الذكاء المواطني هي مدينة حكمها محليّ تشاركي يعمل بإنسجام مع المجتمع المدني، إقتصادها مبني على عملة محليةّ لدعم الإقتصاد التضامني وتشجيع النسيج الإقتصادي المحليّ من حرفيين وصغار الفلاحين، فلاحتها ترتكز على الحدائق المشتركة والفلاحة الحضرية لتحقيق إكتفاء ذاتي، صحافتها وإعلامها مواطني جمعياتي، التنقل فيها يكون عبر وسائل مشتركة صديقة للبيئة.

مناخ كيما هذا ما ينجم كان يدعم المشاعات العمرانية مادية كانت أو معنوية ويجسدها في مشاريع فعلية واقعية تتطلبش برشا إمكانيات لكن إرادة مشتركة، إحساس بالمسؤولية المشتركة وبالقدرة على الإضافة.

ممكن زادا، لازم فكرة الذكاء المواطني تكون مشاع فكري.